المبحث الثاني

الإعلامية

تعريف الإعلامية : Informatively

الإعلام : مصدر أعلم ، وهو «عبارة عن تحصيل العلم وإحداثه عند المخاطب جاهلا بالعلم به ؛ ليتحقق إحداث العلم عنده وتحصيله لديه ويشترط الصدق»[1].

والفرق بين الإعلام والإخبار أن الأخير لا يشترط فيه الصدق مثل ما اشترط في الأول[2]، والإعلام : اختص بما كان بإخبار سريع[3].

يُعَرِّف (دي بوجراند) الإعلامية بأنَّها : «العوامل المؤثرة بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابل البدائل الممكنة»[4].

كما بَيَّنَهَا وأصحابه بمضمونها الذي هو: «مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع أو المعلوم في مقابل المجهول»[5] ،

---

(١) الكليات : ١٤٨ .

(٢) يُنظَر : المصدر نفسه : ١٤٨ .

(٣) يُنظَر : تاج العروس : (علم) ١٢٨/٣٣ ، لذا يظهر لي أن مصطلح (الإعلامية) أكثر ملاءمة من استعمال مصطلح (الإخبارية) لأن السرعة في الإعلامية جاءت زيادة على مجرد الإخبار ، وهذه السرعة عنصر من عناصر الجدة والتنوع الذي يتضمنه التعريف الاصطلاحي .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ١٠٥ .

(٥) مدخل الى علم لغة النص : ٢٣-٣٣ .

وقد نبه (دي بوجراند) على أن النظر إلى هذا المصطلح (الإعلامية) يكون «من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف»[1].

وقد أوضح آلية تطبيق هذا المصطلح فذكر أنَّها «عنصر ما ، تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي : إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية ، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية»[2] .

أما ميدان تطبيق الإعلامية فـ«في العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى»[3].

إشارات إلى الإعلامية في التراث العربي :

تضمنت كتب علماء النقد والبلاغة إشارات إلى الإعلامية وأهميتها ، بوصفها مقياسًا لعدم التوقع كفكرة الغرابة عند (حازم القرطاجني) [4] ، ولعلها تُلتمس عند (الجاحظ) كما في قوله : «وقالوا لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفرقًا في أشعار كثيرة لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمْثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع»[5] ، وفي هذا تنبيه إلى عنصر الجدة والتعدد الذي دعا إليه النصيون في الكشف عن الإعلامية في النصوص .

يقول (عبد القاهر الجرجاني) عن بعض أساليب التشبيه ، يطلب بالفكرة «وهو أن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٣) مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩ .

(٥) البيان والتبيين : ١/٢٠٦ .

طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر وأباؤه أظهر واحتياجه أشد»[1] ، وهذا الكلام لا أشك في إمكانية توظيفه فى مجال الإعلامية المرتفعة وسبيل خفضها .

ثم يرد على اعتراض قد يورد على هذا ، فيقول : «فإن قلت : فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمد ما يكسب المعنى غموضًا ، مشرفًا له وزائدًا في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ألا تراهم قالوا : إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك؟ .

فالجواب : إني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب ، وإنما أردت القدر الذي يحتاج إليه نحو قوله[2] :

فإنَّ المِسْكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ

. . . فإنك تعلم على كل حال أن هذا الضرب من المعاني كالجوهرة في صدف لا يبرز لك إلا أن تشق عنه» [3] .

وكأني بعبد القاهر يذكر بعض موارد الإعلامية المنخفضة ، فيقول : «وهكذا الحكم في الطرق التي ابتدأها الأولون والعبارات التي لخصها المتقدمون والقوانين التي وضعوها حتى صارت في الاشتراك كالشيء المشترك من أوله والمبتذل الذي لم يكن الصون من شأنه والمبذول الذي لم يعترض دونه المنع في شيء من زمانه» [4] .

أما (القزويني) فقد أظهر دور العناصر غير المعهودة في النفس ، فقال : «ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكبر

---

(١) أسرار البلاغة : ١٣٩ .

(٢) ديوان المتنبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، ١٩٨٣م: ٢٨٦ ، وصدر البيت : فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ .

(٣) أسرار البلاغة : ١٣٩-١٤١ .

(٤) المصدر نفسه : ١٩٠ .

وكان الشغف به أجدر»[1]، وما نَوَّه به (القزويني) يمثل العناصر غير المتوقعة ودورها إمتاع المتلقي على الرغم من تطلبها إجراءات أكبر عبئًا[2] .

تكثر نماذج هذا النوع من الإعلامية في أنماط عديدة من التراث العربي[3] أكتفي بالاستدلال لها بالتشبيه المقلوب .

يكون هذا النوع من التشبيه عندما يكون الغرض من عملية التشبيه إبراز المشبه ، به[4] «فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه وذلك في التشبيه المقلوب وهو أن يكون بالعكس»[5] ومثالهم في هذا النوع قول محمد ابن وُهَيْبٍ الْحميَريّ[6] :

وبَـــدَا الصَّـــبَاحُ كَـــأَنَّ غُرَّتَـــه وَجْـــهُ الخَلِيفَـــةِ حِـــينَ يَبْتَسِـــمُ

القول في هذا التشبيه «هو أنَّه كأنَّه يستكثِر للصباح أن يُشَبِّهُ بوجه الخليفة ويوهم أنَّه احتشد له واجتهد في تشبيه يُفخِّمُ به أمره فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ؛ لأنَّه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف مخالف ، أو تهكم متهكم والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب»[7].

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠ .

(٢) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٣) يمكن أن يمثل الإعلامية من التراث العربي بالمجاز والكناية والاستعارة في النحو بالحذف والتقديم والتأخير والتضمين والتعريف والتنكير وغيرها يُنظَر : الإعلامية في نحو النص (دراسة تطبيقية) بحث دكتوراة في كلية دار العلوم ، إعداد : محمد أشرف الشامي ، إشراف الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، ٢٠١١م : ٦٤ .

(٤) يُنظَر : مفتاح العلوم : ٢٥٠ .

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠ .

(٦) أبو جعفرٍ من شعراء الدولة العباسية مدح المأمون والمعتصم ، وهو شاعر مكثر مطبوع ، يُنظَر : معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢٠ .

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٦٠-٢٦١ ، ويُنظَر : أسرار البلاغة : ٢٢٣ .

إنّ إدراجي لهذا النوع من التشبيه تحت هذه الدرجة كان بسبب إجراء خفض خروجي عليه عند (عبد القاهر الجرجاني) في حديثه عن العكس في التمثيل وعلاقته بالتأويل ؛ إذ يقول : «ومن هذا الباب قول الآخر[1] : [الكامل]

ولقد ذكرتُكِ والظلامُ كأنّه يومُ النّوى وفؤادُ مَن لم يَعْشَقِ

لما كانت الأوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد ، فيقال : (اسودَّ النهار في عيني) و(أظلمت الدنيا عليَّ) ، جعل يوم النوى كأنَّه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام ، فشبه به ثم عطف عليه (فؤاد من لم يعشق) تظرفًا وإتمامًا للصنعة»[2].

إن عبد القاهر في هذا النص يستعمل الخفض الخروجي وإن لم يصرح به وذلك بالاستعانة بسياق خارج عن النص ، وهو في العالم المعرفي (أوقات المكاره توصف بالسواد) وذلك من خلال أقوال الناس : (اسودَّ النهار في عيني) و(أظلمت الدنيا عليَّ) .

الإعلامية في الجملة :

يلفت الدكتور (أحمد عفيفي) النظر إلى «أن الإعلامية مرتبطة أيضًا ببنية النص بناء على مقولات نحاة النص أنفسهم»[3].

نقل عن (دي بوجراند) ما يؤيد كلامه وهو أن «العلاقات بين درجات الإعلامية وبنية الجملة شديدة الحساسية بالنسبة للموقف ، فالمنظور الوظيفي للجملة يمكن بصورة تامة أن يسمى المنظور الوظيفي للنص»[4].

يقول (دي بوجراند) عن المنظور الوظيفي «بوصفه ضابطا لتشكيل الجمل بجانب أمور أخرى كثيرة ، ولا حاجة بنا إلى توقع أن يكون لكل جملة معهود

---

(١) البيت لأبي طالب الرَّقّي ، يُنظَر : نهاية الارب في فنون الأدب : ٣٦/٧ .

(٢) أسرار البلاغة : ٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) نحو النص : ٨٧ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٢٨٦ .

في مقابل مستفاد ما لم نصل إلى تحديد هذه المفاهيم في ضوء الواقع في نطاق الجملة أولا ، ونحن في هذه الحالة لا نعد باحثين عن الإعلامية ، وعلى أقصى تقدير نستطيع هنا أن نستكشف المعهود من وجهة النظر الموقعية والمستفاد من وجهة النظر الشاملة دون ارتباط بعناصر طول الجملة»[1].

وهو بهذا يظهر ما للجملة من دور في الإعلامية ، وإن كان لا يبحث عنه مجردًا دون النص فليست الجملة عنده بمستهدفة ، ومع هذا لا يجد (دي بوجراند) بُدًّا من التنبيه على ما للشكل السطحي للجملة من أهمية في عملية الاتصال ، وهو «أن تعلمهم بكيفية التحديد والانتقاء من بين عناصر المحتوى الذي هو المعهود من قبل ، ويجد هذا المطلب عونًا من الشكل السطحي للجملة الذي يشير إلى البؤرة في مقابل الأرضية»[2].

يقول الدكتور (عفيفي) عن هذا بأنه : «اعتراف بالربط بين الإعلامية وبنية الجملة من خلال المنظور الوظيفي لها ، غير أن التطبيق على بناء الجملة سوف يختلف بالتأكيد عن بناء النص إلا أن التعامل يكون أكثر شمولا واتساعًا»[3].

وبالرجوع إلى مفهوم الإعلامية عند (دي بوجراند) «فإن الإعلامية عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي : إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى ومن وجهة النظر الاختيارية ، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية[4].

تعريف (دي بوجراند) يظهر أن للإعلامية مستويات من ناحية كفاءتها فكلما كان العنصر غير متوقع الورود بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى كانت كفاءة الإعلامية منخفضة ، وهذا أمر بحد ذاته لا يمنع وروده على

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٨٤-٢٨٥ .

(٢) النص والخطاب والإجراء ٢٨٥ .

(٣) نحو النص : ٨٧ .

(٤) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

مستوى نحو الجملة ، فالنظر إلى مصطلح الإعلامية إذن «لا من حيث كونه يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال ، بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف»[1].

وهنا يمكن الحديث عن قواعد اللغة العربية ليس من جانبها المعياري فحسب ، بل من جانب إمكانية توقعها من عدمه ولو على مستوى التركيب السطحي لا المحتوى المفهومي ، فلكل فعل فاعل ولكل مبتدأ خبر ، وغيرهما من التراكيب النحوية المتوقعة ، التي تتمتع بأقل قدر من الإعلامية ، ولاسيما عند التزام رتبها ؛ لأنَّ رفع إعلاميتها قد يكون بالتقديم والتأخير ، أو الحذف .

للجملة الشعرية خصوصية الوزن والقافية ، مما يحدد من احتمالات التوقع ، وبالتالي تكون القصيدة الواحدة متوقعة المقاطع من خلال الوزن الشعري ، وهذا يجري على القافية في القصيدة ومن هنا يكون الكلام عن دور الضرورة الشعرية وبعض عيوب الشعر في رفع كفاءة الجملة في الشعر .

وهنا يمكن أن أُمثِّل للإعلامية على مستوى الجملة في شعر الصعاليك الأمويين بمثالين هما :

أولاً : قول بدر بن سعيد الفقعسي [2] : [البسيط]

وَمَا أُصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرَهُمْ إلا يَزِيْدُهُمُ حُبًّا إِلَيَّ هُمُ

أثار هذا البيت خلافا بين النحاة ؛ بسبب بؤرة التنشيط الإعلامي (هم) الضمير المنفصل ، وهذا الخلاف هو :

أ- قول ابن مالك :

«فهم الأخير فاعل يزيد ، وظن بعضهم أن هذا جائز في غير الشعر ؛ لأنَّ قائله لو قال : يزيدونهم ، لصلح ، فجعل المتصل وهو الواو فاعلا ، والمنفصل

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٤٩ .

(٢) ديوان اللصوص : ١/٧٥ .

توكيدا ، وهذا وهم ؛ لأنَّ لك ضميرين متصلين لمسمى واحد ، أحدهما فاعل والآخر مفعول وذلك لا يجوز في غير فعل قلبي»[1].

ب ـ أبو حيان : وكلامه رد على (ابن مالك) .

«الذي ظنه هذا الظان صحيح وما رد به المصنف فاسد ووهم منه ؛ لأنَّه اعتقد أن الفاعل بـ(يزيد) هو المفعول به وليس كذلك بل الفاعل بـ(يزيد) عائد على (قوم) و(هم) المتصل بـ(يزيد) عائد على من سبق ذكره في الشعر في الذين فارقهم ، على هذا صح أن يقال (إلا يزيدونهم) لاختلاف مدلول الفاعل والمفعول ؛ لأنَّ الزائد غير المزيد»[2].

وأيد هذا القول البغدادي وصرح بأنَّه ضرورة للشاعر ؛ لأنَّه وضع الضمير المنفصل موضع الضمير المتصل ، موافقا بذلك (ابن عصفور)[3].

ج ـ ابن هشام : وهو في صدد الرد على (ابن مالك) أيضًا .

يقول : «فادعى أن الأصل : يزيدون أنفسهم ، ثم صار يزيدونهم ، ثم فصل ضمير الفاعل للضرورة وأخّر عن ضمير المفعول ، وحامله على ذلك ظنه أن الضميرين لمسمى واحد ، وليس كذلك ؛ فإن مراده أنَّه ما يصاحب قوما فيذكر قومه لهم إلا يزيد هؤلاء القوم قومه حبًّا إليه لما يسمعه من ثنائهم عليهم ولا يحسن تخريج ذلك على ظاهره»[4].

---

(١) شرح التسهيل : ١/١٥٦ .

(٢) التذييل والتكميل في شرح التسهيل ، ألفه أبو حيان الأندلسي : حققه : الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ـ سوريا ، ط/١ ، ١٩٩٨م : ٢/٢٤٨-٢٤٩ .

(٣) يُنظَر : شرح أبيات المغني : ٣/٢٧٦ ، وضرائر الشعر ، تأليف أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٣ هـ) ، وضع حواشيه : خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م : ٢٠٣ .

(٤) مغني اللبيب ٢/٣٩٨-٣٩٠ .

مؤدى هذا الخلاف أن هناك عدم توقع مجيء الضمير المنفصل محل الضمير المتصل ، وبالتالي سبب إشكالاً في الفهم ليحدث خلافًا في تفسيره بين النحاة ، فعدم التوقع الوارد على مستوى الجملة يدل على وجود الإعلامية وحصولها على مستوى الجملة .

ثانيًا : يقول (المَرَّار الفقعسي) [1] **[الوافر]**

أَنَا ابْنُ التَّارِكِ البَكْرِيِّ بِشْرًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوْعَا

شاع الخلاف بين النحاة في ضبط كلمة (بشر) التي هي من خلال علامتها الإعرابية أصبحت بؤرة للإعلامية في هذا البيت ، فسيبويه ينشدها بالكسر على أنَّها بدل أو عطف بيان[2] ، وهنا يمكنني القول إن مسائل الخلاف النحوية التي ثارت بين النحويين يمكن إدراج كثير من قضاياها في هذا النوع من الإعلامية .

مراتب الكفاءة الإعلامية :

تعرف الكفاءة بأنَّها « هي صياغة أكبر كمية من المعلومات بانفاق أقل قدر من الوسائل »[3] وللكفاءة الإعلامية ثلاث مراتب ذكرها (دي بوجراند)[4] هي :

الدرجة الأولى : الإعلامية المنخفضة :

تكون هذه الدرجة من الإعلامية عادة في « وقائع مبتذلة ؛ أي : إنها تكون مستوعبة في نظام أو مقام ما استيعابًا كاملا يجعل حظها من الاهتمام ضئيلا »[5].

فهذه الدرجة لا يخلو نص منها فهي الحد الأدنى في أي نص « مهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع »[6].

---

(١) شعراء أمويون : ٢٦٥/٢ .

(٢) يُنظَر : الكتاب : ١٨٢/١

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٩٩ .

(٤) يُنظَر : المصدر نفسه : ٢٥٢ ، مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٧ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص : ١٨٧-١٨٨ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٣ .

فهي أضعف درجة من درجات الإعلامية «ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك وإلى الملل بل إلى رفض النص في بعض الأحيان»[1].

والسبب وراء وجود الحد الأدنى للإعلامية في كل نص إذ إن كل نص يمثل وقائع أو واقعة معينة فوجود النص يعني وجود الوقائع في مقابل عدم وجود الوقائع[2].

وقد وقف (عبد القاهر الجرجاني) على أحد أسباب انخفاض الإعلامية في بعض النصوص، وهو قوله: «فإنك تعلم أن قولنا: (لا يُشقُّ غُباره) الآن في الابتذال كقولنا: (لا يُلحق ولا يُدرك)، و(هو كالبرق) ونحو ذلك إلا أنَّا إذا رجعنا إلى أنفسنا علمنا أنَّه لم يكن كذلك في أصله وأن هذا الابتذال أتاه بعد أن قضى زمانًا بطراءة الشباب وجدة الفتاء وبعزة المنيع، ولو قد منعك جانبه وطوى عنك نفسه لعرفت كيف يشق مطلبه ويصعب تناوله»[3].

فجعل من أسباب ورود النص منخفض الإعلامية؛ لأنَّه «سهل مرامه واتسع وجوده»[4]، وهذا الكلام أصله عند عبد القاهر في الموازنة بين التشبيهين. و«لأنَّه لا يمتنع أن يسبق الأول إلى تشبيه لطيف بحسن تأمله وحدة خاطره، ثم يشيع ويتسع ويذكر ويُشْهَر حتى يخرج إلى حد المبتذل والى المشترك في أصله، وحتى يجرى مع دقة تفصيل فيه مجرى المجمل الذي تقوله الوليدة الصغيرة والعجوز الوزهاء»[5].

---

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.
(٢) يُنظَر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.
(٣) أسرار البلاغة: ١٨٩-١٩٠.
(٤) أسرار البلاغة: ١٩٠.
(٥) أسرار البلاغة: ١٨٩.

وبهذا يكون الاتفاق بين (الجرجاني) ونحاة النص الآن بوصف هذه الدرجة بأنَّها من السذاجة والوضوح ما يشبه أسلوب الأطفال في التعبير عن رغباتهم[1].

ولعل هذه الدرجة أقل ما تكون ورودًا في الشعر ؛ لأنَّ النص الشعري في الغالب يكشف عن «المحتوى غير المحتمل في الهيئة المحتملة أو المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة»[2]، ففي الحالتين يكون المتلقي أمام وقائع أو أشكال غير محتملة مما يرفع من الكفاءة الإعلامية إلى ما هو فوق مستوى هذه الدرجة .

و(لمالك بن الريب)[3] نص في ذكر ابنته (شهلة) عندما أحس بالموت يمكن أن يكون محتواه متوقع الحصول ، وهو قوله : [المتقارب]

تُسائِلُ شَهْلَةُ قُفّالَهَا ... وَتَسْأَلُ عَنْ مَالِكٍ مَا فَعَلْ

ثَوَى مَالِكٌ بِبِلادِ العَدُوِّ ... تَسْفِي عَلَيْهِ رِيَاحُ الشَّمَلْ

لِذَلِكَ شَهْلَةُ جَهَّزْتِنِي ... وَقَدْ حَالَ دُوْنَ الإِيَابِ الأَجَلْ

وهو نص لا يتضمن إلا محتويات محتملة لا تتسم بالجدة فشهلة (البنت) عادة ما تسأل عن الأب (مالك) الغائب في سفر للحرب ، وطبيعي أن يكون السؤال موجه للقفال ثم الخبر أنَّه ميت يستحوذ على البيتين الأخيرين .

---

(١) يُنظَر : الإعلامية في نحو النص : ٤١ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٢١ . ويمكن التنبيه على أن الهيئة غير المحتملة ، هنا تخص الكلام عن الشعر في غير العربية ، أما الشعر العربي فله التزام عال بالهيئة (الوزن والقافية) فهو من هذه الجهة محتمل التوقع فأجزاء الشعر العروضية التي هي من أهم عناصر الشكل فيه بالإضافة إلى العلامات الإعرابية قد التزم بها الشعراء قديمًا من بينهم الصعاليك في العصر الأموي .

(٣) شعراء أمويون : ٣٨/١ .

ويقول (طهمان بن عمرو الكلابي)[1] : [الطويل]

سَقَى دَارَ لَيْلَـى بِالرُّقَاشَـيْنِ مُسْـبِلٌ مُهِيْـبٌ بِأَعْنَـاقِ الغَمَـامِ دَفُـوْقُ

إن عنصر التنشيط الإعلامي في الشطر الأول من البيت هو (سقى) ، ويكون التحديد من خلاله حصرا إذ السقي يكون بالماء ؛ لأنَّه متوقع الورود غالبًا ، فلا قوة للكفاءة الإعلامية في ورود العنصر (مسبل) فلم يتضمن عنصر جدة أو احتمال للتنوع فيه .

فكرة خلو النص من الإعلامية

يحسن أن أتناول في معرض الحديث عن الدرجة الأولى (المنخفضة) فكرة خلو النص من الإعلامية عند بعض الدارسين .

الدكتور (أحمد عفيفي) :

نقل الدكتور تعريف (دي بوجراند) للإعلامية وحدد مفهومها ، أجرى تطبيقه على بعض نص نقله عن الدكتور (تمام حسان) وهو : « إن الذي يرى خواطر التاريخ المقبل وما تنطوي عليه تهاويل النزعات الدقيقة لا بد أن تبهره أحلام الواقعية التي تمتد على روافد التاريخ ، ولقد كان الإنسان في كل ناحية من نواحي الوشائج الفارهة في التطور العاطفي قائما بالقسط بين النية والطوية في تعامله مع الآخرين ، ولئن كان المد السكوني المتاح للإنسان (منظور إليه في ضوء الجزر الحركي لأنواع الجماد) لم يأت بجديد في حقل الملاحظة والتجربة فإن ما نسمع عنه من استقامة المحيط وحلزونية القطر بما أفضى في نهاية المطاف إلى حدس زمكاني أرجواني الطابع والاتجاه »[2].

---

(١) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ٩٧ .

(٢) الأصول ، دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو ـ فقه اللغة ـ البلاغة) الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، د . ط ، ٢٠٠٩م : ٢٨٨-٢٨٩ ، نحو النص : ٨٦ .

إن الدكتور بعد ذكره أن نحاة الجملة يمكن لهم أن يقولوا عن هذا الكلام نصا [1] ، يقول «أما النحو النصي فلا يقف أمام هذا الكلام ؛ لأنَّه ليس نصا ولا يحكم له بالنصية لافتقاده الإعلامية بفراغ محتواه»[2].

يلاحظ أن الدكتور (أحمد عفيفي) أفقد هذا الكلام إعلاميته لفراغ محتواه فحكم عليه بأنَّه لا نص ، وحقيقة الأمر عنده أن الإعلامية مرتبطة بالمحتوى فـ«على هذا لا بد أن يحمل النص دلالات يريد المبدع إيصالها للمتلقي عن طريق النص اللغوي ، إذ لو جاء نص فارغ المحتوى من الدلالة فليس نصًّا ولا علاقة لنحو النص به بل لابد لهذه الدلالات أيضًا من الترابط والانسجام إن الإعلامية ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقى ومدى توقعه لعناصره»[3].

إن فراغ النص من المحتوى الدلالي لا يعني عدم وجود نص فالإعلامية توجد في أي نص مهما يكن نصيب الشكل أو المحتوى من التوقع»[4].

فالكلام المستشهد به إن قيل فعلا فهو نص ؛ لأنَّ كل نص يدل على واقعة معينة أو وقائع ، فمجرد وجود نص ما يعني وجود هذه الوقائع ، وهذا الوجود هو في مقابل عدم الوجود ، وقد استشهد الدكتور (تمام حسان) بأصل النص على أنَّه دليل لا يحمل مضمونا ولا معنى فهو ككلام المجانين[5].

---

(١) نحو النص : ٨٧ ، يقول : «ذلك دون النظر إلى محتواه» الذي أراه هو التحفظ على هذا الكلام إذ لم يكن النحو يوما نحوا دون مراعاة المحتوى ، وتقسيم سيبويه للاستقامة النحوية إلى استقامة حسنة واستقامة كذبا واستقامة قبيحة خير مثال على هذه المراعاة يُنظَر : الكتاب : ١/٢٥/٢٦ ، والنحو والدلالة : ١٢-١٣ ، ٦٥ .

(٢) نحو النص : ٨٧ .

(٣) نحو النص : ٨٦ ، وقد أظهر الدكتور أحمد محمد عبد الراضي حذره من نص الدكتور عفيفي فقال : «ليس الأمر كذلك لما بينا من أن الإعلامية كما وضحها بوجراند لا تكمن في مجرد احتواء النص على معلومات أو مضمون وإلا فكل تركيب أو نص لا بد أن يعبر عن شيء ولابد له من مضمون وإنما تكمن الإعلامية في جدة هذه المعلومات وتنوعها» ، نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٧-٩٨ .

(٤) مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣ .

(٥) الأصول : د . تمام حسان : ٢٨٨ .

فهذا الحكم ـ كلام مجانين ـ يدل على أن النص احتوى مجموعة كبيرة من (الانقطاعات والفجوات والتعارضات)[1] مما سبب مشكلة ؛ «لأنَّ تحديد وصلات العناصر الجديدة الواردة بالنسبة لما سبقها معرضة للخطر بطريقة غير متوقعة واحتمال الفشل هنا عظيم»[2].

وكلام الدكتور (أحمد عفيفي) في آخر فقرته السابقة اشترط في الدلالات (المحتوى) الترابط والانسجام ؛ لأنَّ الإعلامية ترتبط بعملية الإنتاج وهي متوقفة على المتلقي ومدى توقعه للعناصر .

وهذا الكلام في الواقع يُسَلَّم له فيما يتعلق بدور المتلقي وتوقعه أما انسجام وترابط الدلالات في كل النص فلا يسلم لها إلا عند الكلام عن الدرجة الأولى من الإعلامية التي توصف نصوصها بأنها «تتسم بسهولة الإجراء ؛ أي أن إيجاد وصلات لربط الوقائع بما يسبقها لا يحتاج إلى نظر»[3] ، هذا اليسر في الإجراء يكون في الدلالات المترابطة المنسجمة ، أما في حال كون هذه الدلالات غير مترابطة أو منسجمة ؛ أي : أصابها (انقطاعات أو فجوات أو تعارضات) فحينئذ لا ينطبق كلام الدكتور عفيفي عليها .

كما يلاحظ أن الدكتور (أحمد محمد عبد الراضي) بعد أن ذكر وجه استشهاد الدكتور (تمام حسان) للنص الذي استعمله الدكتور (أحمد عفيفي)، وأنَّه ساقه في معرض حديثه عن العلاقة الطبيعية بين الرمز الأدبي ، ومعناه يعلق عليه بقوله : «فلا علاقة له بنحو النص أو الإعلامية»[4].

ولهذا التعليق وجهان أحدهما : أن يكون هذ التعليق قد وجهه إلى النص ومحتواه ، وهذا وجه مستبعد ؛ لأنَّه في معرض الرد على الدكتور (عفيفي) الذي علق الإعلامية بالمحتوى فلا يصح أن يكون مناقضًا لنفسه .

---

(١) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٥٥ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٢ .

(٤) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٨ .

والوجه الآخر : إن التعليق موجه إلى الاستشهاد بهذا النص ، ؛ لأنَّه نص بالأصل عند الدكتور (تمام حسان) لم يستشهد به لنحو النص والإعلامية .

والذي يبدو أن هذا التعليق ليس له حظ من التوفيق إذ يمكن نقضه من وجهين : الأول : إن أي نص ما كان ولم يكن ولن يكون حِكْرًا في الاستشهاد على قاعدة أو نظرية فلا يسمح له بالخروج إلى غير ما طبق عليه من قواعد وفرضيات بل إن النص الواحد قد يصلح لجعله شاهدًا لأي قاعدة ما أمكن ذلك .

والآخر : إن الدكتور (عفيفي) ما كان يجهل لأي شيء استشهد الدكتور (تمام حسان) بهذا النص بل نص على ذلك وذكر حكم الدكتور (تمام) عليه[1].

الدكتور (أحمد محمد عبد الراضي) :

نقل الدكتور نص (دي بوجراند) في الإعلامية ، وركز على قضية جدة المعلومات وتنوعها الواردة في النصوص فقال : « فليست الإعلامية إذن متمثلة في مجرد المعلومات التي يحتويها النص ، وإنما تتمثل في جدة هذه المعلومات وتنوعها اللذين توصف بهما المعلومات في بعض المواقف »[2].

ثم يأتي لتأكيد هذا عند خلو النص من الدلالة أو عدم خلوه منها فيقول : « ومن ثم لا ينبغي أن نفهم خلو النص من صفة الإعلامية خلوه من الدلالة تماما وإلقاءه على المتلقى شكلا بحتًا يلا مضمون ؛ لأنَّ القضية ليست احتواء النص على مضمون وعدم احتوائه على مضمون إنما القضية احتواء النص على معلومات توصف بالجدة والتنوع ، ولذا كلما قل احتمال المتلقي لها ازداد مستواها الإعلامي ، فإذا قلنا : (السماء فوقنا والأرض تحتنا والنار حارة) فهذا النص يحمل معلومات ولكن لا يمكن أن توصف بالإعلامية »[3].

---

(١) نحو النص : ٨٦-٨٧ ، هامش رقم : ١٦٦ .

(٢) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٩٧ .

قرر الدكتور هنا أن قضية الإعلامية غير متعلقة باحتواء النص على مضمون أو عدم احتوائه ، وقضية أن من النصوص (المثال الذي ساقه) لا يمكن أن توصف بالإعلامية .

وليس الأمر في هاتين القضيتين كما ذهب الدكتور فيهما ، وإنما احتواء النص على مضمون وعدم احتوائه على مضمون قضية مؤثرة جدًا في الإعلامية ، إذا أن التوقع وعدم التوقع من قبل المتلقي تنصب على المحتوى بالدرجة الأولى كما أن فراغ المحتوى (الفجوات) يسهم كنوع معتاد من أنواع الدرجة الثالثة من الإعلامية .

أما القضية الثانية التي تطرق إليها الدكتور ، وهي « إن النص قد لا يتسم بالإعلامية ، فليس الأمر كذلك ؛ لأنَّ النصوص دوال على وقائع فهي في مقابل عدم الوقوع ، ومن هنا كان الحد الأدنى للإعلامية في أي نص بغض النظر عن نصيب هذا النص من الشكل أو المحتوى من التوقع »[1].

والمثال الذي ساقه الدكتور يُعَدُّ من الدرجة الأولى من الإعلامية ، لـ « أن مجرد اختيار بديل متاح في موقف ما ـ أي بديل يقدمه أي نظام ذي علاقة ـ تأتي عنه على الأقل كفاءة إعلامية من الدرجة الأولى »[2].

فمثل (السماء فوقنا والأرض تحتنا والنار حارة) يأتي في موقف ما كواقعة حادثة في مقابل عدم الوقوع .

الدرجة الثانية : الإعلامية المتوسطة :

تأتي الإعلامية في هذه الدرجة أعلى من الدرجة الأولى ، وذلك عندما تكون « العناصر الورادة في مرتبة أكثر موارد للإجراء فإنَّها تستدعي عمق الإجراء »[3].

---

(١) يُنظَر : مدخل إلى علم لغة النص : ٣٣ ، ١٨٩

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٣ .

(٣) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٢ .

وهذه الدرجة هي في الحقيقة المعيار الطبيعي من الإعلامية لعملية الاتصال في النصوص [1]، ولعل مقدار عبء المعالجة للاحتمالات في هذه الدرجة هو ما جعلها تمثل على الحقيقة هذا المعيار .

فالدرجة الأولى المبتذلة « يمكن إعلاء مرتبتها (ما لم تكن تستحق مزيد اهتمام) كما أن العناصر الواردة من المرتبة الثالثة يمكن خفض نسبتها »[2] . ولعل هذا ما سيوضح في قول توبة بن الحُمَيِّر[3] : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُدْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا يَرَى لِيَ ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا

إن النص الذي يستدعي مزيد من عمق الإجراء بسبب العناصر الواردة فيه يكون أعلى إعلامية قياسًا بنص لا يستدعي مثل ما استدعى من إجراءات . فالشاعر في هذا البيت يُضَمِّنُ نصه عناصر تثير المتلقي وتستدعي منه مزيد عناية ، فالشاعر (العاشق) يزور (ليلي الأخيلية) المعشوقة ، التي على عصمة رجل (الزوج) .

فجاء العنصر (غير أني أزورها) يستدعي أكثر من وجه عند التحليل، الأول: أنَّه يعترف بأنَّ زيارتها ذنب ، لكن هذا ذنبه الوحيد الذي قدمه بصيغة عذر له ، وأقسم عليه أن زوجها يراني مجرما بهذا الذنب غاية الإجرام فلا ذنب لي إلا زيارتها .

والوجه الآخر : إنَّ الشاعر لا يرى زيارتها ذنبًا ، فهو غير معروف باقترافه الذنوب حتى أن زوج المعشوقة أشد الناس غيرة عليها لا يري الشاعر مذنبا ، ولكن الحقيقة أن الشاعر يزورها خفاء فليس له ذنب معلوم عند الزوج إلا أن الشاعر يزور زوجته ، ولو علم لكان له ذنب .

---

(١) يُنظَر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٢) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٣) ديوان توبة بن الحُمَيِّر : ٣٩ .

ومنه أيضًا قول الخطيم المحرزي [1] : [الطويل]

وَلَسْتُ بِقَـوَّالٍ إِذَا قَـالَ صَـاحِبِي لَكَ الخَيْرُ مُرْنِي أَلتَ مَا شِـئْتَ أَفْعَـلِ

يمكن أن يرد في هذا البيت تعدد للاحتمالات يقبلها النص ، وهي تقدير جملتي مقول القول لـ(قوال) ولـ (قال) . فهل جملة (لك الخير) مقول قول في محل نصب مفعول به لـ (قوال) أو لـ(قال) ومثلها (مرني أنت ما شئت أفعل) .

فسياق الكلام يحتمل أنه قد نفى أنَّه قال لصاحبه (لك الخير) بعد أن قال له صاحبه (مرني أنت ما شئت أفعل) فالضمير (الياء) في (مرني) عائد إلى الشاعر ، مع بقاء احتمال عوده إلى صاحبه .

وقد يكون نفى أنه قال لصاحبه (مرني أنت ما شئت أفعل) بعد أن قال لـه صاحبه : (لك الخير) ، فضمير المخاطب المتصل (التاء) عائد إلى صاحبه ويبقى احتمال أن يكون عائدا إلى الشاعر ، فهنا مزيد عبء على المتلقي وتعدد في الاحتمالات الممكنة مما تسبب في جعل مثل هذا النص من الدرجة الإعلامية الثانية .

وقريب من هذا التعدد يقع في جملة (مُرني) هل هي ضمن جملة مقول القول الأولى لتكون (لك الخير مرني) فتصير تفسيراً للخيار الذي وهبه صاحبه إياه . أو تكون من جملة مقول القول الثانية ؛ أي : (مرني أنت ما شئت أفعل) فتكون من جملة مقول قول الشاعر ، فتصير جملة (أنت ما شئت أفعل) تفسيراً للأمر .

يقول (الخطيم المحرزي) [2] : [الطويل] .

أَبَـا قَطَـرِيٍّ لاَ تُصَـارِعْ فَـإِنَّنِي أَرَى قَرْنَكَ الأَعْلَـى وإِيَّـاكَ أَسْـفَلاَ

---

(١) ديوان اللصوص : ٢٥٢/١ ، شعراء أمويون : ٢٦٨/١ ، وفيه تقديم القافية (أفعل) على حشو العجز .

(٢) شعراء أمويون : ٢٧٠/١ . والقِرْنُ : ضدك في القوة . العين : (قرن) ٣٨٣/٣ . وناوَأْتُ الرَّجُلَ مُناوَأَةً ونِوَاءً : فاخَرْتُه وعادَيْتُه . والنَّوْءُ والمُناوَأَةُ : المعاداة . يُنظَر : لسان العرب : (نوأ) ١٧٨/١ .

أَرَاكَ إِذَا نَـــاوَأْتَ قَرْنًـــا سَـــبَقْتَهُ إِلَى الأَرْضِ وَاسْتَسْلَمْتَ لِلمَـوْتِ أَوْلاَ

إن الكفاءة الإعلامية في هذين البيتين يمكن أن تكون من الدرجة الأولى ؛ لأنَّ الوقائع فيهما مُستَوْعَبة من قبل المتلقي استيعابا كاملا .

ويفهم هذا من علاقة التضاد بين (الأعلى والأسفل) في عجز البيت الأول ، فإذا كان (أبو قطري) أسفل المتناوئين فلا يكون قرينه إلا في الأعلى ، كما أن البيت الثاني تضمن هذا المعنى بألفاظ جديدة ، فالسبق إلى الأرض ، الذي كان من (أبي قطري) سبق من هو في الأعلى ليكون هو الأسفل وأكد له هذا السبق بقوله : « واستسلمت للموت أولا » ؛ لذا يمكنني أن أزعم أن حظ هذا النص من اهتمام المتلقي كان قليلا ، أما لفظ (سبق) في البيت الأخير وإن كانت غير متوقعة الورود ؛ لأنَّ الموقف هو موقف الهزيمة والخسارة والسبق متوقع مع الفوز والربح ، ومع هذا لا أظن أنَّها ترفع كثيراً من درجة الإعلامية ؛ لأنَّ عنصر الجدة في هذه اللفظة لا يجاري التعدد المبتذل لمعنى (الأعلى والأسفل) وعلى الرغم من هذا يكون مثل هذا النص في الدرجة الثانية من الإعلامية ؛ لأنَّ « لو أن نصًا معينًا اتسع لأكثر من مرتبة واحدة من مراتب الكفاءة الإعلامية ؛ فإن المرتبة الثانية ربما استحقت أن تفضل على الأولى »[1].

ومثل هذه الدرجة في قول القتال الكلابي : [2] [الطويل]

إِذَا مَـــا لَقِيْـــتُمْ رَاكِبًـــا مُتَعَمِّمًـــا فَقُوْلُوا لَـــهُ مَـــا الرَّاكِـــبُ المُـــتَعَمِّمُ

جاء هذا البيت خال من المحتوى الذي يمكن أن يسجل درجة إعلامية ثانية أو ثالثة ، غير أن بنية الجملة من خلال الشكل الذي استعمل به (ما) للاستفهام عن المعروف بدل غير المعروف (أي شيء) الذي تستعمل له بالأصل[3].

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٦١ .

(٢) ديوان القتال الكلابي : ٧٥ .

(٣) يُنظر : الكتاب : ٢٢٨/٤ ، الأزهية في علم الحروف ، تأليف علي بن محمد الهروي (ت٤١٥هـ) تحقيق : عبد المعين الملوحي ، دمشق ـ سوريا ، ط/٢، ١٩٩٣م : ٧٥.

جعلت هذا النص في درجة إعلامية أعلى ؛ فالجدة في هذا أن الراكب لا بد أنَّه عاقل ، فأنزله منزلة غير العاقل .

الدرجة الثالثة : الإعلامية المرتفعة :

تتكون هذه الدرجة عند وجود عناصر «غير معتادة وشديدة الإثارة للانتباه»[1] في النص لأنَّها «خارجة بعض الشيء على قائمة الخيارات المحتملة»[2].

وعلى الرغم من أن هذه العناصر قليلة الوقوع ويصعب السيطرة عليها وفهمها ؛ مما يتطلب قدْرًا كبيرًا من عبء المعالجة لموارد الاحتمالات تكون في المقابل أكثر امتاعًا للمتلقي من الدرجتين السابقتين[3].

وقد قسم (دي بوجراند) الأنواع المعتادة من هذه الدرجة إلى ثلاثة أنواع هي[4] :

١- الانقطاعات : «وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة»[5]؛ أي عند عدم التعليق[6].

٢- الفجوات : «والتي تحدث عندما يشتمل التعليق على شغب لا يتضمن أي محتوى»[7] .

٣- التعارضات : أو التضارب وهو «الذي يقع عندما لا تنسجم المعلومات التي قررها النص مع عالم المعرفة المختزنة»[8] كما يطلق عليها (المفارقات)[9].

---

(١) النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٣) يُنظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ ، ومدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٤) ينظَر : النص والخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٥) مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

(٦) ينظَر : النص والخطاب والإجراء : ١٢٠ .

(٧) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٨) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٩) يُنظَر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٩٠ .

وقد جاء هذا في تشبيه أجراه (المَرَّار الفقعسي) في قوله : [1] [الطويل]

وَخَالٍ عَلَى خَـدَّيْكِ يَبْـدُو كَأَنَّـهُ سَنَا البَدْرِ فِي دَعْجَاءَ بَـادٍ دُجُوُّهَـا

إن الحكم على هذا البيت وأمثاله لدى النقاد القدامى كان مخالفًا لما عليه نحاة النص اليوم ، فهو يتضمن عيبًا من عيوب الشعر ؛ لأنَّ « من عيوب الشعر مخالفة العرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع مثل قول المَرَّار فالمتعارف المعلوم أن الخيلان سود أو ما قاربها في ذلك اللون والخدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنعت فأتى الشاعر بقلب المعنى »[2].

وهذا التضارب بين ما أورده نص المَرَّار وبين المعرفة المختزنة جعل من المتلقي « خارج نطاق الخيارات المحتملة »[3]، فهي عناصر غير معتادة لدى المتلقي وشديدة الإثارة للانتباه ، فكيف يكون الخال الأسود سنا للبرق ، وهذه الصورة جعلت من هذا النص في المرتبة الثالثة للإعلامية .

ومنها قول مالك بن رفيع الأسدي[4] : [الوافر]

شَقَيْتُ بِهِـمْ عَلَـى طُـوْلِ التَّنَـائِي كَمَـا شَـقِيَتْ بِأَحْمَرِهَـا ثَمُـوْدُ

يتضمن هذا البيت إعلامية عالية الكفاءة لتضمنه وجهين من التعارضات الوجه الأول : أن التشبيه غير تام أو مطابق[5].

---

(١) ديوان اللصوص : ٢٦٩/٢ .

(٢) نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت : ٢٠٣ ، يُنظَر : الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تصنيف أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ بيروت ، د . ط ، ٢٠١٣م : ٩٠ .

(٣) النص الخطاب والإجراء : ٢٥٥ .

(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٨/٣ .

(٥) وهذا النوع من التشبيه هو الأول من أوجه التفصيل في التشبيه : « وهو أن تفصل بأن تأخذ بعضًا وتدع بعضًا » أسرار البلاغة : ١٦٦ .

فشقاوة الشاعر على الرغم من بعده عن (مصعب) وأخوته ، بينما كانت شقاوة أحمر ثمود مع قربه من قومه إذ عقر الناقة في قومه ، فهذا تعارض فيه عدم انسجام مع ما قرر في عالم المعرفة بقصة عقر الناقة .

والوجه الآخر : أن الشقاوة مختلفة السبب فالشاعر حصلت له الشقاوة بسبب (مصعب) وأخوته ، وثمود شقيت بسبب أحمرها ، فجعل من نفسه ثمود وجعل من (مصعب) وأخوته أحمر ثمود .

ومثله قول جعفر بن علبة الحارثي :[1] [الطويل] .

إِذَا بَابُ دُوْرَانٍ تَـرَنَّمَ فِـي الـدُّجَى وَشُـدَّ بِـإِغْلَاقٍ عَلَيْنَـا وَأُقْفَـالِ

يقول (الزمخشري) : « ترنم المغني ورنّمَ ورَنمَ رَنْمًا رجَّع صوته وسمعت له رَنيمًا ورَنْمَةً حسنة وتَرَنُّما وتَرْنيمًا ، ومن المجاز ترنمت القوس»[2] وتَرَنَّم الطائرُ في هَدِيره والتَّرْنِيم : تَـرجِيـعُ الصَّوت و(تَرَنَّمَ) : رَجَّ صـوتَـه ، وكُـلُّ ما سُمِع له رَنْمَةٌ حَسَنَة فله تَرْنِيمٌ وتَرَنُّم[3] .

يلاحظ أن المادة اللغوية لترنم تأتي للصوت الحسن المتكرر ، وتخرج عن هذا المعنى إلى أشياء لا يكون فيها الطرب مثل القوس ، ومنها (باب دوران) إذ لا يتصور من باب السجن صوت حسن وإن تكرر ، بمجيء (ترنم) لهذا المعنى يجعل منه عنصرا فيه من الجدة ما ترتفع به إعلامية النص ، وترنم الباب يحمل على المجاز كترنم القوس ، فهو غير متكرر لقرينة (وشد بإغلاق علينا) مع عدم تصور الحسن في صوته ، ومع هذا تبقى الجدة ظاهرة فيه ؛ لإيراد الترنم للباب ومنها ارتفعت كفاءة النص الإعلامية .

---

(١) ديوان اللصوص : ١٩٤ .

(٢) أساس البلاغة : (رنم) ، ١/٣٩٠ .

(٣) يُنظَر : لسان العرب : (رنم) ، ١٢/٢٥٦-٢٥٧ ، تاج العروس : (رنم) ، ٣٢/٢٨٩-٢٩٠ .